كونها شهادة تغييب ، فهي ايضا صك حرمان · ولو حدث ، والكلام نظـــري ايضا ، ان امتلكت شيئا ، قطعة ارض او بيت ، حتى وان كان من نتاج عملي ، فباستطاعة القيم ان يصادره قانونا · والاكيد ان شيئا من ذلك لم يحصل · الا ان شبح المصادرة كان يطاردني ، اسوة بغيري من ابناء صنفي · والكلمـــة الاخيرة والحاسمة هي للقيم · وما دام هذا قد اعتمد المصادرة مبدأ ، فقـــد آليت انا الا افتح له بابا ·

والهوية الحمراء فرمان فك ارتباط مع الحياة السياسية في الكيان · فهـــي تستثني صاحبها من حق الانتخاب مثلا · الا انها لا تذهب الى حد تخطيه فـــي جباية الضرائب · وفي اسرائيل لعبة ديمقراطية ، بكـــل طقوسها الغربية · وبحسب قانونها الاساسي ، وكذلك في صك اعلانها دولـــة ، تعتبر اسرائيـل الفلسطينيين تحت احتلالها مواطنين · وعليه ، فهم يشاركون في الانتخابـــات العامة للكنيست ، ولهم ان يرشحـوا انفسهم ويخوضـوا الانتخابات لعضويته · وبالفعل ، فقد كان هناك اعضاء عرب حتى في الكنيست الاول · ومنهم مثـــلا سيف الدين الزعبي ، الذي استقال قبل ايام ، دون ان ينهي الدورة الحاليـة ، وهي التاسعة في ترتيبها (شباط (فبراير) ١٩٧٩) · ولهؤلاء النواب العـرب في الكنيست قصة ، سنفرد لها بابا خاصا · اذ لا يجوز تناولها مرور الكرام · اما هويتي الحمراء فلم تقف حائلا بيني وبين عضوية الكنيست وحسب ، وانما تعدت ذلك الى حقي في انتخاب من يمثلني هناك ايضا · والكلام فـي الموضوع نظري طبعا ، اذ لم تكن عضوية الكنيست تخطر لي على بال · اما القاء صوتي في صندوق الاقتراع ، مرة كل بضع سنين ، لصالح هذا المرشح او ذاك ، فلم تكن مسألة تهمني كثيرا ·

والواقع انه اتيحت لي اكثر من فرصة لاستبدال هويتي الحمراء باخـــرى زرقاء · كان ذلك في الاعـــوام ١٩٥٥ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦١ · اي في مواســـم الانتخابات العامة للكنيست · ففيها كانت الاحزاب الصهيونية تتنافس على صيد الاصوات العربية · وتتبارى فيما بينها على تقديم الخدمات ، بما فيها حل بعض المشاكل الفردية للناخبين الملتزمين · وهكذا يبدأ باستبدال بطاقة الهويـة لمن هم في وضعي · والاجراء معروف : محكمة شكلية · ينـــال المدعي فيهـا حـــق الانتخاب ، بناء على شهادة حضور ، كما فقده بناء على شهادة غياب · ومـا دامت المهمة الاساسية قد انجزت ، والارض صودرت ، فالباقي تفاصيل هامشية · وقد حصل كثيرون ، ممن كانوا في حكم الغائب ، على حقهم في استبـــدال هويتهم ، وبالتالي الاقتراع في الانتخابات العامة · بل واكثر من ذلك ، ففـــي حالة واحدة على الاقل ، اعرف من جرى استبدال بطاقة هويتـه الشخصيـة ، كي يدخل معركة الانتخابات في قائمة عربية ملحقة بحزب العمال الحاكم · وكان هذا قد غادر قريته عندما وقعت تحت الاحتلال ، في نهاية العام ١٩٤٨ · وبقي